# دور الصراع العربي – الصهيوني في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي

أ.د سعد ناجي جواد*

منذ اللحظة التي بدأت فيها المشاريع الغربية الرامية إلى إنشاء كيان "قومي صهيوني يهودي" في قلب الوطن العربي، إلى تمزيق الوطن العربي من أجل السيطرة عليه وتمرير هذه المشاريع، بدأت تظهر آثار ذلك على العلاقة ما بين الغرب والعالم الإسلامي. وعندها تبلورت المشاريع ونتج عنها إعلان قيام (دولة إسرائيل) عام ١٩٤٨، وترسيخ هذا الكيان وإنهاء أية مقاومة له في عدوان حزيران ١٩٦٧. والسمة الأساسية التي تحدد طبيعة هذا الصراع هي الترابط العنصري ما بين المشاريع الاستعمارية الغربية في الوطن العربي من جهة والمشروع الصهيوني ودولة (إسرائيل) من جهة أخرى.[١]

ولا بد ومنذ البداية التأكيد على حقيقة أخرى هي أن ما ظهر في نهاية القرن الماضي وبدايات القرن الحالي من مشاريع ترمي إلى إنشاء كيان صهيوني، لا يبتعد عما ظهر في السابق من محاولات رامية إلى السيطرة الأوروبية على بيت المقدس وفلسطين والتي تبلورت عنها حروبٌ صليبية انتهت بإفشال المشروع الأوروبي – اليهودي الذي كان يرمي إلى إنها الوجود العربي – الإسلامي في فلسطين.

وهكذا فإنه لم يكن من المستغرب أن تتضافر الجهود الأوروبية – الغربية – الصهيونية من جديد من أجل وضع حاجز مانع للوحدة العربية ما بين مشرق الوطن العربي ومغربه. ولم يكن مستغرباً أن يبادر الغرب إلى التفكير بمنح كيان لليهود داخل فلسطين منذ عام ١٨٤٠ بصيغة مشروع طرحه اللورد بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني، الذي كان يرمي من خلاله إلى إفشال أية محاولة مشابهة لمحاولة محمد علي

* أستاذ العلوم السياسية ـ جامعة بغداد

باشا أو ابنه إبراهيم. ولما تلقفت الحركات الصهيونية هذا المشروع عجلت بتبنيه كهدف سياسي بعيد الأمد لإنشاء وطن لليهود في فلسطين . ثم جاء وعد بلفور ( ١٩١٧/١١/٢) ليؤكد من جديد الدعم الغربي للمشروع الصهيوني، وليبرهن مرة أخرى أن الغرب والصهيونية كانا (ولا يزالان) متفقين على المشروع الرامي إلى تمزيق الوطن العربي. وبمكن القول أن هذه الحوادث هي التي بلورت الموقف العربي من الغرب بالمقابل . والمسألة أو الحقيقة الأخيرة التي يجب التأكيد عليها هي أن الصراع العربي (الإسلامي) من جهة والصهيوني الغربي من الجهة الثانية هو صراع ديني شئنا أم أبينا . فمنذ اللحظة التي بدأ فيها الإسلام بالظهور وحتى مونبليه ثم الأندلس قوبل هذا الدين وحضارته ومجتمعه بمقاومة يهودية وتآمر يهودي ومحاولات تعاون فيها الغرب مع اليهود من أجل إفشال رسالته أو عرقلة نموذجه الحضاري .

وتتباين الرؤى لهذا الصراع حسب الأطراف المتصارعة فيه والقوى المؤثرة عليه إقليمياً ودولياً ، مع التأكيد على أن موقف القوى الأخيرة يستند بالأساس إلى حجم التأثير الذي يمارسه الطرفان: العرب والصهاينة كل على حده ، إلا أنه يجب الاعتراف مسبقاً أن الطرف الصهيوني يمتلك التأثير الأكبر والأعظم بسبب ما يمتلكه من تأثير على أجهزة الإعلام والدعاية وعلى رؤوس الأموال في الغرب .

وتتمثل وجهة نظر الصهاينة (إسرائيل) في الصراع وأسبابه بإنكار العرب لحق العيش لليهود وإقامة دولة في المنطقة التي يعتبرونها مكاناً تاريخياً لها ، وهذا يعني من جهة أخرى فقدان الشرعية الإقليمية والدولية لهذا الكيان الذي يعتبره العرب دخيل على المنطقة. حاول كتاب ومفكرون وساسة صهاينة بلورة أفكار للرد على هذا الموقف العربي وبما يقنع الغرب . فمثلاً جادل أبا إيبان بأن العرب يرفضون أي شيء غير عربي لأن الإسلام لم يتخذ المساواة هدفاً اجتماعياً ، بل إن الشريعة الإسلامية تعلن بصراحة قيام فرق مدرج بين المواطنين ، فيهم المؤمنون والكافرون وبينهما الرعايا وهؤلاء هم أهل الذمة. ولكن لم يكن في ذاك قط اعتراف عربي بأي شيء يشبه استقلالاً سياسياً لليهود، وعليه فإن فكرة التعايش مع إسرائيل لا كمجتمع رعايا يهود بل كيهود ذوي سيادة، هي

بمثابة هزة عنيفة ، لذا فإن الانزعاج في التفكير العربي أمام استقلال إسرائيل أمر حقيقي لا يستهان به[٢].

أما يوسف تكواه ، ممثل (إسرائيل) السابق في الأمم المتحدة فيقول (إن سبب الحروب التي واجهتها إسرائيل منذ ولادتها ليس الصراع على الأراضي والمنافع الاقتصادية ، وإنما كانت محاولة طرف إنكار حق الحياة وحق الوجود كأمة مستقلة لطرف آخر)[٣].

أما الجنرال الدكتور هركابي " مستشار غولدا مايير " فيرى أن سبب الصراع يعود (إلى رفض العرب الاعتراف بإسرائيل والعمل على منع استمرارها في الوجود كأمة) ويعود هذا في رأيه إلى ما أسماه (أخطاء وأمراض في النفس والمجتمع العربيين)[٤].

وفي الوقت الذي تم إقناع الغرب ، الذي كان مهيئاً مسبقاً من الناحية النفسية والدينية والاجتماعية والتاريخية، لقبول هذه الادعاءات ، لم يشعر العرب –وحتى وقت قريب– بحاجة إلى محاججة هذه الدعاوى . فالأمر لم يكن رفض قيام دولة غير مسلمة ، لأن ذلك حصل في لبنان وبدعم عربي ، وإنما كان رفضاً لاغتصاب أرض وتشريد شعب واستبداله بشعوب مختلفة منحت هوية جديدة. وفي الحقيقة فقد توافقت وجهة النظر الغربية ولأسباب ثم إيضاحها مع وجهة النظر الصهيونية هذه .

أما الرؤية العربية – الإسلامية فلقد توافقت فيما بينها في ناحية النظر للظاهرة الصهيونية ولطبيعة الصراع . فالرؤية الإسلامية للصراع انطلقت من وعي تام بأنه صراع مصيري حيث يكون الوجود الحضاري الإسلامي ذاته في الميزان ، أو أنه الصراع الذي يفرض على الحضارة أن تكون أو لا تكون. وهذا الصراع لا يمكن أن يحل إلا بواحدة من ثلاث طرق . إما أن تستوعب إحدى الحضارات الحضارة الأخرى ، وإما أن تمحو إحدى الحضارات الحضارة الأخرى ، وإما أن تقسم مناطق النفوذ بين هاتين الحضارتين ، الأمر الذي يؤكد أن الصراع المصيري في الرؤية الإسلامية مبني في إطار صراع ممتد وشامل يحشد عناصر المواجهة للكيان الصهيوني الذي يجعل من أهم وظائفه

ضرورة مواجهة أية فكرة أو كيانية إسلامية ، وأن أي حل آخر في هذا المضمار لن يكون مجدياً أو قابلاً للاستمرار[٥]. وهكذا فمن وجهة النظر هذه فإن الصراع هو صراع حضاري وصراع وجود أو فناء[٦]. كما يعتبر هذا الاتجاه القضية الفلسطينية القضية المركزية للحركة الإسلامية وإن الجهاد هو الطريق الوحيد لتحرير الشعب الإسلامي ومناهضة محاولات الاستيطان والاستسلام كافة في المنطقة[٧]. علماً بأن الغرب والكيان الصهيوني يعتبران الصراع صراعاً دينياً أيضاً، ولو أنهم يحاولون إخفاء هذه الحقيقة أو تعتمها.

وينبع العداء العربي لإسرائيل بالأساس من المعاناة السياسية والإنسانية للفلسطينيين أولاً ومحاولات الكيان الصهيوني تهويد معالم القدس وتشويهها ثانياً. كما أن التصور العربي بُني على أساس واقعي يقول إن ما حدث ويحدث في المنطقة من عدم استقرار وتوتر إنما هو نتيجة لقيام (إسرائيل) ونظرتها إلى المشكلة الفلسطينية ، وهي المشكلة التي سيكون استمرار الصراع من عدمه مرهوناً بها[٨].

وإذا ما عدنا إلى التصور الإسرائيلي لهذا الصراع فإن الثابت في المتحول الأمني الإسرائيلي هو عقدة الخوف الدائم حيال الآخر ، ولا سيما الآخر الفلسطيني بوصفه النقيض الوجودي لفلسفة قيام الدولة العبرية . وليس من الغرابة في شيء أن تظل عبارة بن غوريون الشهيرة "أن وجود إسرائيل نفسه معرض للخطر" وهذا الأمر يحكم الأماكن السرية[٩]، بل وكل التفكير الصهيوني – الإسرائيلي. والسلام الذي تسعى إليه ( إسرائيل) يكون مرتبطاً ومستنداً إلى القوة. فإذا كان السلام من وجهة نظر رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية شلومو غزيت هو ( ضرورة حيوية وهو إزالة خطر كياني بالدرجة الأولى )، فإن رئيس أركان الجيش الإسرائيلي إيهود باراك يقول (إن قوة الجيش الإسرائيلي ستكون مطلوبة للدولة حتى في الفترة التي تسمع فيها أجراس السلام)[١٠].

- **فهم الغرب لطبيعة الصراع** :

إذا ما تم الاتفاق على حقيقة أن الكيان الصهيوني هو صنيعة الغرب بوجهه الإمبريالي ، فإن الحال يقتضي بنا معرفة نظرة الغرب للعالم العربي والإسلامي وكيفية التقاء هذه النظرة مع النظرة الصهيونية أو بالعكس .

ويمكن القول أنه عبر التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر تشكلت خصومة وعداوة تاريخية بين العرب والغرب ، وتبلورت من خلال الاتصال القسري والطوعي صور نمطية لدى الأولين عن الآخرين والعكس صحيح . وفي مقدمة السمات التاريخية البارزة الفتوحات الإسلامية للأمصار التي كانت تخضع للإمبراطورية الرومانية والحروب الصليبية والاحتلال الصليبي الذي دام ما يقرب القرنين[١١]. بالإضافة إلى النجاحات الإسلامية في أوروبا وآسيا ومن ثم الاستعمار الأوروبي الحديث للبلاد العربية والإسلامية. وتتأطر نظرة الغرب في نوع من الإقصاء الحضاري للعرب والمسلمين، فالإسلام عند الأوروبيين عدو الحضارة، وهو بذلك عدو الغرب، ومن أجل قهر هذا العدو كانت الحروب الصليبية[١٢].

وإذا كانت ثمة شكوى من قبل العرب حيال السياسات الاستعمارية الغربية وأثرها على نواحي الحياة كافة في البلاد العربية والإسلامية، فإن الطرح الغربي المضاد يستند على فكرة أنه (إذا كان المسلون اليوم يرون أنفسهم قد تعرضوا لتدخل الغرب خلال مرحلة الاستعمار ، فإن المسيحية هي التي كانت طوال معظم تاريخهم موضوعاً لمحاصرتهم . فخلال قرن من وفاة نبيهم غزوا إسبانيا ودقوا على أبواب فرنسا . . وهكذا فعلى الرغم من أن تاريخ المسلمين تاريخ إمبريالي فإنهم يركزون بصورة رئيسة على القرنين الأخيرين اللذين تميزا بتفوق القوى الأوروبية تكنولوجياً وسلاحاً)[١٣]. وهذه الصورة كانت سبباً من أسباب توسع نفوذ الصهيونية وتحقيق مطامحها في الحصول على الدعم الخارجي .

ومن ناحية أخرى اقتنع الغرب بأن العرب قبائل رحل جاهلة جائعة كسولة نهمة لا تريد الاندماج في مدينة العصر الحديث، ولا بد لذلك من وجود استعمار في أراضيهم يرفع مستواهم ويضمهم لعالم اليوم. وعندما أنشئت(إسرائيل) كان غالباً ما يشار إليها على أنها دولة اليهود المتمدنين التي أقيمت بين شعوب همجية لن تقبل بها ولن تتحمل وجودها بسبب الفارق الحضاري بين الطرفين. ولهذا ساد الاعتقاد عند الأوروبيين بأن (إسرائيل)

مسكينة لأن مدنيتها أضخم من أن يتفهمها أو يتقبلها جيرانها وأن أي عدوان في الشرق الأوسط لا بد وأن يكون عربيا لا إسرائيلياً[١٤].

ليس هذا فقط ، بل حاول البعض ربط كراهية العرب (لإسرائيل) بكراهية العرب للغرب التي تمتد جذورها حتى الحروب الصليبية وطيلة الاحتلال الغربي للأقطار العربية[١٥]. ولعل أكثر المقولات رواجاً هي أن (إسرائيل) واحة الديمقراطية في صحراء الاستبداد. ولا يمكن إغفال دور اليهود الفاعل في صناعة هذه الصورة بين الإسلام والغرب عن طريق محاولة إقناع ساسة الغرب وصانعي القرار فيه بأولوية الخطر الإسلامي والعبء الملقى على الكيان الصهيوني لمواجهته ، مما يستدعي من الغرب تقوية هذا الكيان باعتباره (حائط الصمود ضد خطر الإسلام الزاحف على الغرب). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمارس اليهود ضغوطهم على وسائل التوجيه والتأثير والإعلام، وبخاصة الصحافة ، ضد العرب لترسيخ هذه الصورة المشوهة عن الإسلام في العقل الغربي الشعبي.

إن كلمة الإسلام عند ثيودور هرتزل تعني العرب وليس الشعوب الإسلامية الأخرى . ويتضح هذا بجلاء حين تحالفت الصهيونية مع الثورة العثمانية (١٩٠٨) في معركتهما المشتركة ضد حركة القومية العربية الوليدة وضد استقلال العرب[١٦]. كما أن هرتزل نجح في إقناع الرأي العام الغربي اليهودي بأن الدولة اليهودية ستكون ممثلة للحضارة الأوروبية في الشرق ، وأنه لو تم لهم الحصول على فلسطين لصار اليهود يشكلون جزءاً من الرديف أو السد الأوروبي بوجه أسيا (الإسلامية) ومركزاً طليعياً للمدنية ضد البربرية[١٧]. إن هذه الطروحات الصهيونية والمستندة على فكرة أن اليهود هم شعب الله المختار، التفت وانسجمت مع الطروحات العنصرية الأوروبية حول رسالة الجنس الأبيض وعلو مكانته، هذه الطروحات التي فندها العالم من جوانبها كافة.

وأخيراً لا بد من القول أن الغرب بصورة عامة، والدول الاستعمارية فيه بصورة خاصة، قد وجدت في الإسلام والقرآن الكريم، الخطر الأكبر والمحبط لمخططاته الرامية إلى استعباد العرب والمسلمين. وأن هذا الدين لم ينجح فقط في إثارة الشعوب المسلمة ضد

الاستعمار وطرده، (والمثل الأوضح الجزائر)، بل أن الأمر امتد إلى حقيقة أن ينجح الإسلام في اقتحام المجتمعات الأوروبية نفسها وأن يثبت له مكانة متقدمة فيها ومؤيدين متزايدين له. والسبب في ذلك أن الدين الإسلامي يحارب وبصورة هادئة وعن طريق الإيمان كل الظواهر التي تهدد المجتمعات الأوروبية[١٨].

وكانت بريطانيا من أكثر الدول الأوروبية تحكماً في مسار القضية الفلسطينية بحكم وجودها في بؤرة الصراع ، ليس فقط كدولة منتدبة على فلسطين ، ولكن كدولة صاحبة نفوذ قوي ومباشر على معظم الدول المحيطة أو القريبة مثل مصر، والأردن، والعراق والخليج العربي .

والموقف البريطاني في التاريخ الحديث يضرب في جذوره إلى أوائل القرن الحالي حيث دعا حزب المحافظين البريطاني إلى عقد مؤتمر في لندن بدأ أعماله عام ١٩٠٥ ورفع المؤتمر توصية عاجلة عام ١٩٠٧ إلى رئيس الوزراء البريطاني آنذاك نصت على ضرورة العمل على (إقامة حاجز بشري وغريب على الجسر الذي يربط أوربا بالعالم القديم ، ويربطهما معاً بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة وصديقة للدول الأوروبية ومصالحاها)[١٩]. وهذا كما ذكرنا تجديد لفكرة بالمرستون المطروحة عام ١٨٤٠ .

وكان ثمة التقاء بين المصالح البريطانية والصهيونية ، فالاستيلاء على فلسطين كان ضرورة استراتيجية بالنسبة لبريطانيا ، وكان الطريق الوحيد لإدامة النفوذ البريطاني يتمثل في الربط بين الأهداف الاستراتيجية البريطانية ومبدأ تقرير المصير بالنسبة للصهاينة اليهود في فلسطين وفتح باب الهجرة لهم وتمكينهم من السيطرة على هذه البقعة.

ولهذا نجد أن بريطانيا هي التي تعهدت المشروع الصهيوني منذ مراحل نشأته الأولى، بل ومنحته شرعية دولية كان يفتقدها متمثلة بوعد بلفور ١٩١٧. ثم ألزمت بريطانيا نفسها بتنفيذ هذا الوعد ، بل ووضعت ذلك موضع التنفيذ فعلاً بعد تكليفها من قبل عصبة الأمم بالانتداب على فلسطين، حيث ضمن صك الانتداب التزاماً بالعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وعندما شعرت بريطانيا بأن هناك إمكانية لتأسيس الوطن القومي لليهود انسحبت من فلسطين لتشكل (دولة إسرائيل) وكانت من أوائل من أيد تأسيسها واعترف بها ودعمها. بل وأكثر من ذلك فإن بريطانيا، وعندما شعرت بأن هناك ما يهود أمن (إسرائيل)، تواطأت معها في شن عدوان ١٩٥٦، وهي التي صممت مشروع القرار (٢٤٢) سيئ الصيت الذي تبناه مجلس الأمن بعد عدوان ١٩٦٧ (٢٤نوفمبر) والذي شكل أساس حركة المجتمع الدولي في البحث عن تسوية تأخذ في اعتبارها حماية (إسرائيل) ، وهي التي أصبحت همزة الوصل بين الجماعة الأوروبية وبين الولايات المتحدة وحاولت أن تضمن عدم ابتعاد الموقف الأوروبي كثيراً عن الموقف الأمريكي ، إلى غير ذلك من المواقف المساندة للاحتلال والتوسع الإسرائيليين .

ولم يكن الهدف الإسلامي ببعيد عن المساعي البريطانية ، لأن بريطانيا كانت سبباً في ضعف المسلمين وتعقد أوضاعهم في جميع أنحاء العالم ابتداءً من القضاء على إمبراطورية الإسلام في الهند مروراً بالقضاء على الدولة العثمانية والخلافة الإسلامية لحساب اليهودية العالمية وانتهاءً بكارثة فلسطين[٢٠]. وهذه الأهداف التي حققتها بريطانيا بخاصة (والغرب بعامة) وسعت إليها منذ القرن الخامس عشر وحتى اليوم ضد التاريخ العربي والشرق كله ، كان المقصود منها شن حملة غربية شعواء ( سياسية، أيدلوجية، فكرية، اقتصادية، عسكرية ودينية) كلها تهدف إلى شيء واحد هو تحطيم أية محاولة لإنشاء دولة عربية في قلب الحضارة الشرقية الإسلامية. بل والأكثر من ذلك تفتيت الأمة العربية واقتطاع أجزاء منها لصالح دول الجوار لغرض منع الوحدة أو التقارب بأي ثمن.

وأخيراً وليس أخراً فإن الصهيونية وقادتها لم تكن بالبعيدة عن السياسة البريطانية وصانعي القرار فيها، يساعدهم في ذلك وجود اليهود البريطانيين ونفوذهم وتغلغلهم حتى في المنظمات السرية المنتشرة في أنحاء العالم، مثل الماسونية، التي كانت تعمل بأغطية إنسانية واجتماعية كي تموه على أهدافها السياسية .

ولم يكن الدور الأمريكي بأقل سوءاً من الدور البريطاني، إن لم يكن أكثر سوءاً وأكثر حسماً في التأثير على مسار القضية الفلسطينية ، والسبب في ذلك يعود إلى ثقل

الولايات المتحدة في النظام الدولي من ناحية وطبيعة الثقل الإسرائيلي وتأثيره على السياسة الأمريكية من ناحية أخرى . وممارسة الضغط الصهيوني – اليهودي في الولايات المتحدة كان يستند بالأساس لدعاوى دينية وأبعاد مصلحية . وترجع بدايات قيام أول جماعة ضغط (لوبي) صهيونية في الولايات المتحدة إلى عام ١٨٨٧ حيث أسسها رجل دين بروتستانتي هو بلاكستون لصالح إقامة دولة يهودية في فلسطين . وهكذا ظل الأساس الديني يلعب دوراً فيما يخص القضية الفلسطينية . حيث تلعب الاتجاهات المسيحية بأسسها اللاهوتية دوراً رئيساً في توفير المناخ الملائم للالتزام والانحياز لإسرائيل لدى السياسة الأمريكية نحو نزعة عامة متميزة تجاه الصراع العربي – الصهيوني[٢١].

وقد استفادت الأقلية اليهودية من الخصوصية الدينية للمجتمع الأمريكي باعتباره مسيحياً يغلب عليه الطابع البروتستاني . فالعديد من الكنائس البروتستانية متأثرة بالتوراة وبالعهد القديم، ومؤيدة من منطلقات دينية وعقيدية لحق اليهود في العودة إلى فلسطين، ولذلك لم تكن الحركة الصهيونية بحاجة إلى جهد كبير لكي تتمكن مبكراً وفي فبراير ١٩٤٥، في جمع أكثر من خمسة آلاف توقيع قس بروتستانتي على عريضة تطالب بريطانيا بفتح أبواب الهجرة إلى فلسطين، وإن تحرك أكثر من خمسة آلاف منظمة ونادٍ وجمعية ونقابة أميركية يهودية لاتخاذ مواقف مؤيدة للحركة الصهيونية[٢٢].

أما على صعيد المصلحة فيمكن القول إن النجاح الذي أنجزه اللوبي الصهيوني داخل الولايات المتحدة الأمريكية لا يتمثل في مدى ما أحرزه من قدرة تنظيمية للتأثير بجماعة ضغط على صانع القرار الأمريكي فقط وإنما في نجاحه في تسويق فكرة التوافق الاستراتيجي بين (إسرائيل) والولايات المتحدة، حتى أصبحت قاعدة مستقرة في سياسة الولايات المتحدة [٢٣].

أما عن وزن اللوبي وتأثيره على عملية صنع القرار الأمريكي فإنه يتوضح من خلال معرفة طبيعة النظام السياسي والانتخابي الأمريكي الذي يسمح لجماعات المصالح من أي نوع تنظيم صفوفها والدفاع عن مصالحها رسمياً من خلال علاقة مؤسسية مع

الكونغرس وفقاً للقانون الصادر عام ١٩٤٦ ، كما يسمح لهذه الجماعات من خلال لجان العمل السياسي (PAC) بمساعدة مرشحيهم المفضلين في جميع أنواع الانتخابات الأمريكية عن طريق التبرعات وتنظيم الحملات الدعائية[٢٤]. ويمارس اللوبي الصهيوني تأثيره من خلال مشاركته أنشطة الحملات الانتخابية على كل المستويات التنفيذية والتشريعية باستخدام الصوت اليهودي والمال اليهودي والدعاية اليهودية والإعلان لصالح المرشحين الأكثر تعاطفاً مع الكيان الصهيوني، من خلال المتابعة والرصد الدقيق لكل ما يصدر عن المسؤولين الأمريكيين والمتعلق بموقفهم من القضية الفلسطينية والصراع العربي–الصهيوني، واستخدام كل أنواع الإغراءات والضغوط الممكنة لضمان تأييدهم المستمر. ويجب الانتباه إلى أن نسبة الأصوات اليهودية لا تتجاوز ٢,٥% (٦ ملايين ناخب) من مجموع أصوات الناخبين، ولكن لأن درجة المشاركة السياسية لليهود هي أعلى في العادة من درجة مشاركة المواطن الأمريكي غير اليهودي، وقد تكون هذه النسبة مرجحة وخصوصاً في انتخابات الرئاسة[٢٥]. كما أن الصوت اليهودي يلعب دوراً أكثر أهمية في الانتخابات التشريعية (حوالي ٢٥% من جملة الأصوات)، هذا بالإضافة إلى سعي اليهود وتركيزهم على الوظائف السياسية المتخصصة وعلى كل ما من شأنه التأثير على صياغة السياسة الأمريكية مثل اللجنة البرلمانية للشؤون الخارجية في الكونغرس التي تضم ٢٥% من اليهود، واللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط وتضم ٣٠% [٢٦].

وإذا ما علمنا كيف ينظر الأمريكيون إلى الإسلام والمسلمين وعلى حسب ما جاء على لسان الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون ، استطعنا أن نعرف لماذا كل هذا الاندفاع في دعم الصهاينة، علماً أن النظرة الأمريكية هذه كانت قد بنيت على أساس الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة . يقول نيكسون ما يلي (يميل كثير من الأمريكيين إلى تصور المسلمين على أنهم نمط واحد من الناس غير المتمدنين، غير النظيفين، المتوحشين، وغير العقلانيين وعلى الغالب لا يلفت انتباهنا فيهم سوى أن بعض زعمائهم لهم الحظ السعيد في أنهم يحكمون أقاليم تحتوي في باطن أرضها على ثلث الاحتياطيات

المؤكدة من النفط في العالم . . . ليس هنالك من شعب حتى ولا الصين الشعبية، له صورة سلبية في ضمير الأميركيين بالقدر الذي للعالم الإسلامي)[٢٧].

ومن أهم قوى الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية :

أ . اللجنة الإسرائيلية – الأمريكية للشؤون العامة (إيباك) ومهمتها رصد التطورات داخل الكونغرس وأعمال أعضاء الكونغرس جميعاً بهدف زيادة المساعدات الأمريكية الاقتصادية (لإسرائيل) . ومن خلال هذه اللجنة كانت تمارس الضغوطات للاعتراف بالقدس عاصمة (لإسرائيل) .

ب . لجان العمل السياسي ، وتمارس وظيفتها بدعم المرشحين المؤيدين (لإسرائيل) في الانتخابات . وقد ذهبت ٧٤% من تبرعات لجان العمل السياسي المؤيدة للكيان الصهيوني في انتخابات مجلس الشيوخ في عام ١٩٨٢ مثلاً إلى المرشحين المؤيدين للصهاينة .

ج . اللجنة القومية للعمل السياسي وهي من أضخم وأشهر وأكبر لجان العمل السياسي المؤيدة (لإسرائيل) .

د . مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى وهو بمثابة الذراع الدبلوماسية في رابطة السياسة الخارجية للمؤسسة اليهودية – الأمريكية الرسمية ، ويستخدم الإسرائيليون المؤتمر قناة للاتصال بالإدارة الأمريكية .

هـ. المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي، الذي أسسته مجموعة من المحللين العسكريين المؤيدين (لإسرائيل) ، وتم تشكيل لجنة رصد البنتاغون فيما يتعلق بالقضايا الاستراتيجية الخاصة بالشرق الأوسط في الأمن القومي[٢٨].

### □ التيار الإسلامي ودوره في الصراع العربي ـ الصهيوني :

لعب الإسلام دوراً واضحاً في مراحل الصراع ضد الصهيونية ، ولم تكن المسألة تدخل ضمن طروحات الإسلام السياسي وحركاته التي ظهرت معظمها مع بدايات تشكل الدول العربية ، ووصول ذروتها في نهاية السبعينات وبداية الثمانينيات ، باستثناء حركة

الإخوان المسلمين في مصر حيث كان لها بداية مبكرة على مستوى النشاط المصري، بل وعلى مستوى النشاط الفلسطيني.

وفي مرحلة التمهيد لتنفيذ مقررات مؤتمر بال في سويسرا كانت الدولة العثمانية هي الممثلة الرسمية للإسلام. وقبل أن تسيطر جمعية الاتحاد والترقي على الدولة، كان للعثمانيين مواقف تجاه المشاريع الصهيونية والبريطانية تتمثل في ما يلي:

أ . رفض السلطان عبد المجيد خان (والد عبد الحميد الثاني) المشروع الصهيوني – البريطاني المشترك الذي قدمه وزير خارجية بريطانيا لتهجير اليهود إلى فلسطين عام ١٨٥٠.

ب . رفض السلطان عبد الحميد الثاني السماح لليهود الروس بالهجرة إلى فلسطين بعد فشل تآمرهم على قيصر روسيا الإسكندر الثاني عام ١٨٨١ .

ج . إعادة السلطان العثماني عام ١٨٩٢ لليهود الألمان الذين حاولوا استعمار الساحل الشرقي لخليج العقبة – المويلح ، إلى حيث أتوا .

د . الدور الواضح لعبد الحميد الثاني ورفضه للإغراءات المالية المقدمة له من هرتزل في سبيل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين[٢٩].

بعد الانقلاب ضد عبد الحميد الثاني من قبل جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨، وانتهاج الانقلابيين سياسة مضادة للفكرة الإسلامية بالتعاون مع اليهود ، سخط الاتجاهان الإسلامي والقومي عليهم وانقسم الإسلاميون إلى اتجاهين ، اتجاه يناصر الدولة العثمانية ،واتجاه يناصر الثورة العربية المتحالفة مع بريطانيا. وكان أصحاب الاتجاه الأول يرون في الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية وحامية حمى الإسلامي ، أما أصحاب الاتجاه الثاني فكانوا يرون أن الدولة العثمانية تحت قيادة الاتحاد والترقي قد فقدت مصداقيتها الإسلامية وأنها واقعة تحت النفوذ اليهودي والماسوني المعادي للإسلام والمسلمين[٣٠].

بعد صدور وعد بلفور انعقد مؤتمر وطني فلسطيني في مارس ١٩١٩ أعلن فيه الفلسطينيون رفضهم لوعد بلفور ، ورفضهم للهجرة اليهودية إلى فلسطين . وفي هذه الفترة برز دور الشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين ، الذي شارك في تأسيس النادي

العربي عام ١٩١٨، وكان من أهدافه المطالبة بالوحدة مع سوريا ومكافحة الصهيونية[٣١]. ويتضح البعد الإسلامي للحركة الجماهيرية الفلسطينية في نوع المظاهرات التي كانت تخرج من المساجد باعتبارها مراكز تجمع وتعبئة وانطلاق . وهو ما أعطى انطباعاً عاماً بأهمية المسجد في مواجهة العدو[٣٢]. ومنذ عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٢٩ كان التحرك الإسلامي فردياً وشعبياً ، ولم تظهر فيه حركات إسلامية منظمة ذات منهجية محددة مع وجود التأثير السياسي والاجتماعي للعلماء المسلين وظهور مؤسسات إسلامية من أبرزها المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني وجمعية الشبان المسلمين[٣٣].

ويتجلى الدور الإسلامي في العديد من الانتفاضات والثورات والنشاطات الجهادية التي حدثت منذ عام ١٩٢٩ ، ( ثورة البراق ١٩٢٩، ثورة الشهيد عز الدين القسام ١٩٣٥ وثورة ١٩٣٦ وثورات ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩). وفي هذه الفترة ظهر التحرك الإسلامي المنظم وكان أبرز نماذجه حركة الشيخ عز الدين القسام التي وجهت مسار العمل الفلسطيني من الجهاد السلبي المتمثل بالاجتماع والمذكرات، والعرائض والمؤتمرات إلى الجهاد المسلح المباشر ضد الاستعمار البريطاني والنفوذ اليهودي[٣٤].

الفترة من ١٩٣٩ وحتى ١٩٤٨ شهدت نمو النفوذ اليهودي واتساع المؤامرة الدولية على فلسطين وتولي الأنظمة العربية الواقعة تحت النفوذ الاستعماري لقضية فلسطين مما أدى إلى تهميش الدور الفلسطيني . وكذلك شهدت ظهور حركة الإخوان المسلمين في فلسطين التي أسهمت في مواجهة الخطرين اليهودي والاستعماري البريطاني، رغم محدودية هذا الدور[٣٥].

في مرحلة المواجهة العسكرية المباشرة عام ١٩٤٨ كان لحركة الإخوان المسلمين المصرية دورها الواضح على الساحة الفلسطينية ، وبشكل مغاير للدعم الذي سبق هذه المرحلة . إذ بدأ الإخوان المسلمون ومنذ إعلان التقسيم عام ١٩٤٧ يجسدون الاهتمام بالتحرير متخذين من مقرهم في القدس مركزاً للجهاد، وكذلك حث المسؤولين

على اعتماد الحل العسكري وبذل كل الممكن في علمية التحرير[٣٦]. ويمكن تلخيص دور الإخوان المسلمين بما يلي :

أ . إرسال عدد من دعاة الإخوان المسلمين من مصر إلى فلسطين وشرق الأردن وسوريا ولبنان ، لنشر الدعوة لتأسيس وجود قوي لمواجهة الأعداد .

ب . إرسال عدد من المدربين العسكريين بقيادة محمود لبيب لتدريب الإخوان على السلاح .

ج . إرسال برقية إلى زعماء العرب المجتمعين في عاليه في لبنان (مايو ١٩٤٨) يبين استعداد الحركة لإرسال عشرة آلاف مجاهد للاستشهاد في سبيل الله دفاعاً عن فلسطين .

وباندلاع المعركة كان للإخوان المسلمين إلى جانب الجماعات الجهادية الفلسطينية (كالجهاد المقدس ، والنجادة و الفتوة) دور في المعارك وفي الهجوم على المستعمرات وتقديم العديد من الشهداء، حتى صدور القرار العسكري رقم ٦٤ لعام ١٩٤٨ القاضي بحل جماعة الإخوان ثم اغتيال المرحوم حسن البنا في ١٢ شباط ١٩٤٩ ، واعتقال مجاهدي الإخوان وزجهم في السجون[٣٧].

أما بالنسبة لدور حركة الإخوان المسلمين الفلسطينية التي تأسست عام ١٩٤٣ ، فقد شارك الإخوان بشكل كامل في الجهاد عندما بدأت الحرب ، إلا أن حداثة إنشاء تنظيمهم ، وعدم نموه واستقراره بشكل مناسب وقوي قد جعل مشاركتهم محصورة ضمن قدراتهم المحدودة وإمكاناتهم المتواضعة . كمان أن عظم المؤامرة الدولية على فلسطين، ودخول الجيوش العربية وتوليها القتال وتجريدها لأبناء فلسطين من الأسلحة قد أضعف الدور الذي كان يمكن أن يقوموا به[٣٨]. علماً بأنه، وبعد إعلان الهدنة، كان ضباط ومنتسبو الجيش العراقي من أصحاب التوجهات الإسلامية ، يغادرون ثكناتهم العسكرية ويرتدون الملابس المدنية ويقومون بهجمات على معسكرات اليهود ومستعمراتهم ، يقودهم في ذلك الضابط المعروف رفعت الحاج سري . ولم يتوقفوا عن تلك المغامرات الجريئة التي كانت ستودي بمستقبلهم وبحياتهم إلا بعد انسحاب الجيش العراقي .

- **حركات الإسلام السياسي ودورها في الصراع:**

سمتان أساسيتان تميزان فترة نهاية السبعينات فصاعداً أولاهما بروز حركات الإسلام السياسي عاملاً مؤثر في النشاط السياسي في الشرق الأوسط ، وثانيهما التشديد على خطورة هذه الحركات من جانب الغرب والتهويل من أثارها والوقوف موقفاً سلبياً منها متمثلاً في نعتها بالإرهاب والتطرف .

والمراد بحركات الإسلام السياسي هي تلك الحركات التي تصرح بهدف معلن هو السعي بشتى الوسائل لإقامة الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية، والتي تمتلك بنية تنظيمية علنية أو سرية وتحظى بدعم جماهيري يختلف من قطر إلى آخر ومن ناحية لأخرى من حيث الحجم والفاعلية، لكنه صالح لأن يتخذ أساساً لإقامة النظام السياسي الإسلامي المنشود[٣٩]. أوهي الحركات التي تحمل في أهدافها وطموحاتها إقامة الدولة الإسلامية بغض النظر عن الاختلافات الكامنة ليس فقط على الصعيد الإقليمي وإنما على صعيد الدولة الواحدة أيضاً[٤٠]. ووراء تنامي حركات الإسلام السياسي أسباب عديدة، لكنها تتحدد بالأساس في أزمة السلطة وأزمة المجتمع في الوطن العربي. فما بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٧٤ تطورت أزمة السلطة في الوطن العربي التي فشلت تجاربها الوحدوية وفشلت برامجها التنموية ومناهجها السياسية وخسرت حروباً في مواجهة الكيان الصهيوني، تطورت تلك الأزمة من أزمة سلطة إلى بدايات أزمة مجتمع، تفاقمت في الثمانينات. فلقد خلا الوطن العربي تقريباً من السياسة ومن العمل السياسي و من أجواء الحرية.

واستمر تآكل مشروعية الأنظمة التي تخلت عن دعاويها الأيدلوجية واتجهت لفردانية الحاكم وسط بؤس الريف وترييف المدينة وذل مديونيات البنك الدولي والخنوع للجبروت الإسرائيلي والاستتباع للولايات المتحدة [٤١].

والرؤية الأيدلوجية للحركات الإسلامية تتنوع وتتعدد لكن الشيء المشترك بينهما هو ما يلي :

أ . اعتبار الإسلام طريقة شاملة للحياة الشخصية والدولة والمجتمع .

ب. اعتبار التغريب وتبنى العلمانية الغربية سبباً للآفات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المسلم .

ج . إن استعادة السلطة يتطلب العودة إلى الصراط الإسلامي المستقيم وهو البديل لكل من الرأسمالية والماركسية .

د . إن إعادة تطبيق الشريعة الإسلامية سوف يؤدي إلى نشوء مجتمع أكثر أخلاقية وعدالة.

هـ. من واجب جميع المسلمين التضحية والجهاد في سبيل الله(٤٢).

ورغم تنوع هذه الحركات الإسلامية وتعدده، ورغم تباين مواقعها وسياساتها فإنها جميعاً تقابل بنظرة عامة من الغرب والكيان الصهيوني، نظرة قائمة على اعتبارها حركات إرهابية ومتطرفة وتهدد الاستقرار أينما وجدت، وأنها تتعارض أساساً مع القيم الديمقراطية. لا بل إن هذا الموقف ظل حتى عندما كانت حركة إسلامية تفوز بانتخابات ديمقراطية، حيث كان قادة الغرب وساسته يواجهون ذلك بمقاومة عنيفة وتحريض شديد(٤٣).

من ناحية أخرى فلقد نجحت الدعاية الصهيونية ومن يدعمها في الغرب ليس فقط في ترسيخ النظرة المشوهة للإسلام ، وإنما وصل الأمر إلى إرعاب المجتمعات الغربية من كل ما هو مسلم حتى ظهر في الغرب مصطلح Islamopho bia ، أو الخوف من الإسلام ، وهذا يعني بالنتيجة الخوف والرعب والكره للإسلام والمسلمين(٤٤).

**وأهم ملامح ظاهرة الخوف من الإسلام تتمثل بما يلي :**

أ . النظر للإسلام وإلى الثقافات الإسلامية عموماً على أنه عقيدة جامدة تسير على وتيرة واحدة لا تغيير فيها ولا تجديد فيها ولا تنوع، ولا تقبل التعدد واختلاف الآراء.

ب . الإدعاء بأن الثقافة الإسلامية تختلف كلياً عن الثقافات الأخرى وأن المسلمين متشددون ويتقيدون بحرفية النصوص الدينية.

ج . تصور الإسلام بأنه خطر يهدد العالم على غرار النازية والشيوعية ، وبأن الإسلام شر يحدق بالعالم وسيؤدي إلى صدام ما بين الحضارات ، وأن الإسلام يزحف تدريجياً ليستعمر أوروبا الوسطى والغربية ، وأن الأصولية الإسلامية أصبحت تشكل أكبر خطر يهدد السلام العالمي[٤٥].

ويلعب الإعلام الغربي دوره السيّئ في تعبئة الرأي العام ضد الإسلام بالدرجة الأساس ، وتصوير الحركات الإسلامية أينما وجدت على أنها تمثل كل العالم الإسلامي بدون أي تفريق ويكون الأمر أكثر تخصيصاً بالعرب المسلمين دون غيرهم . وهكذا فإن العربي في التعريف الأوروبي أصبح يعني إما شيئاً ينتمي إلى منطقة فيها بترول أو أحد الجماعات الإسلامية المتطرفة ، وإما مهاجراً يزاحم الأوروبي على العمل أو السكن[٤٦]، ومن الناحية السياسية فهو إرهابي يسعى إلى قتل كل ما هو غربي أو تدميره. وطالما ظل الرد العربي والإسلامي قاصراً عن توضيح الأمور سيبقى الإسلام مرتبطاً في ذهن الأوروبي بكل معاني العنف والإرهاب، ومن غير أن يجهد نفسه في التعرف على الجوانب الإيجابية في الحضارة الإسلامية[٤٧].

ولم تكن نظرة الحركات الإسلامية، وبخاصة العربية ، بأفضل تجاه الغرب والنموذج الغربي السياسي حيث اعتبرته "هيمنة وتآمر ومادية مجرمة ، وأن الحضارة الغربية كلها صنعها يهود في مؤامرة كبرى وأن الحكام العرب هم صناعة غربية ومن ثم هم صناعة يهودية"[٤٨]. وفي الوقت الذي انعدمت فيه الدعاية وحملات التوعية العربية – الإسلامية للغرب ، تكاتفت الجهود الصهيونية مع الجهود الغربية لتحقيق مسألة تشويه الصورة العربية – الإسلامية . وتأتي أهمية الأمر من خلال المحاولة لتشويه القضية الفلسطينية وتصفيتها، وبخاصة بعد أن ظهرت الورقة الإسلامية من جديد وبعد تراجع المد القومي والاشتراكي والعلماني في المنطقة العربية . وبدأ الخطاب الصهيوني السياسي والإعلامي وحتى الأكاديمي يركز على مضمون جديد ملخصّة أن إسرائيل تضطلع الآن وفي المستقبل بواجب دولي في محاربة الأصولية الإسلامية ، وأن العالم الغربي مدعو للتكاتف من أجل دعم (إسرائيل) وتأييدها في أدائها لهذا الواجب نيابة عن العالم بأسره

في الشرق الأوسط[٤٩]. وللتدليل على هذا الموقف الصهيوني هذا نأخذ بعض التصريحات الإسرائيلية. فيقول شمعون بيريز أن الأصولية هي (حركة إسلامية تسعى إلى مناهضة الانفتاح والثقافة الغربية وتعمل على التراجع عن التحديث والعصرية وتدعو إلى استخدام القوة لإقامة جمهورية إسلامية سلطوية قمعية . . . وخطورة وجود سلاح نووي في أيدي متعصبين لا يشكل خطورة على ميدانهم فحسب، بل أنه يمتد ليشمل العالم بأسره . . . إن الخلط القاتل بين الأصولية الدينية والصواريخ والأسلحة غير التقليدية إنما يهدد السلام العالمي)[٥٠]. وحاول إسحق رابين رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق مراراً إقناع الولايات المتحدة بأن إيران تشكل خطراً مباشراً على المصالح الأمريكية ليس فقط من خلال تهديد الإمدادات التنظيمية بل وزعزعة الاستقرار الإقليمي في المنطقة برمتها ، وبخاصة فيما يتعلق (بإسرائيل)[٥١]. ويصف حاييم هرتزوغ الأصولية بأنها الخطر الأكبر على العالم الحر ويطالب كل دول المنطقة بتوحيد جهودها لمكافحة ظواهر التطرف الإسلامي من أجل إحلال السلام في الشرق الأوسط[٥٢].

وتتطابق الرؤية الأمريكية مع هذا الوصف فنجد أن دانفورت كويل ، نائب الرئيس الأمريكي في عام ١٩٩٠ يقول (لا يزال العالم مكاناً خطراً ، لقد أخذتنا الدهشة في هذا القرن المنصرم ببروز الشيوعية والنازية والأصولية الإسلامية)[٥٣].

وتطابق الرؤية هذا ينطلق من حرص واحد على تحقيق أمن (إسرائيل) ، الأمن الذي عملت الولايات المتحدة والعالم الغربي على صيانته عبر إضعاف المد القومي في المنطقة في السابق ، ومحاولتها إضعاف المد الإسلامي في الوقت الحاضر .

ولهذا فإن الأهداف الأساسية للخطاب الصهيوني المعادي للإسلام هو إقناع العرب أولاً بمناصرة (إسرائيل) (لصد الأعمال الإرهابية) ، التي لا تستهدف عملية السلم فقط في (إسرائيل) بل السلام على العالم أجمع ، وعليه لا بد أن يقف العالم بأجمعه في وجهه، حسب الدعاوي الإسرائيلية[٥٤]. ويتمثل التطابق في وجهتي النظر الأمريكية – الإسرائيلية في رغبتهما وعملهما على إفشال كل ما له علاقة بالإسلام مثل المقاومة الإسلامية في لبنان أو ثورة إسلامية في مصر أو فوز إسلامي في الأردن والجزائر أو أية محاولة

لصعود التيار الإسلامي إلى دفة الحكم أو التأثير عليه في أي منطقة من المناطق العربية ، إن ذلك من وجهة نظرهما (سيقضي على كل ما عملنا على تحقيقه عبر سياسات الضرب والتهديد)[٥٥].

وعن كيفية مواجهة حركات الإسلام السياسي فإن هناك عدة أراء حول الإستراتيجية الأمريكية الواجب اتباعها. وتكون مثلاً بأن تعمد الولايات المتحدة على (حصر علاقاتها مع الأنظمة الأصولية والراديكالية المتطرفة بالتعاون التكتيكي بشكل لا يتجاوز متطلبات الوقت الراهن . . يجب علينا أن لا نقاطعهم تماماً وأنه يجب علينا في الوقت نفسه أن لا نقوي دعائم حكمهم)[٥٦]. ويقترح آخرون بأن لا تعارض أمريكا من حيث المبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية أو مشاركة النشطين الإسلاميين في الحكم . . ويجب متابعة السياسة الأمريكية في إطار سياسة تعترف بالفروق الإيديولوجية بين الغرب والإسلام[٥٧]. وتضيف وجهة النظر هذه القول بأن مصالح الولايات المتحدة سوف تحترم بشكل أفضل إذا تبنت سياسات تتكون من تعاون انتقائي وحذر مع حكومات مسلمة صديقة وسياسة عامة واضحة ثابتة تتعلق بحقوق المواطنين في تقرير مستقبلهم بالوسائل الديمقراطية[٥٨].

وحدد أحد الباحثين عدداً من الأسس التي يجب أن تقوم عليها الإستراتيجية الأمريكية تجاه الإسلام وحركاته وهي :

أ . أن تتفهم الولايات المتحدة حاجة دول الشرق الأوسط لاستخدام العنف ضد تيارات الإسلام السياسي لأن تلك التيارات تعادي القيم الغربية والمصالح الأمريكية .

ب. إن قوى التطرف تزدهر في ظل ظروف اقتصادية صعبة كتلك التي تمر بها بعض بلدان الشرق الأوسط من البطالة إلى الفقر ، ومن واجب الولايات المتحدة أن تقوم بمساعدة حكومات تلك الدول كي تخفف من حدة تلك المشاكل .

ج. أن تقدم شيئاً أكثر أهمية من الدعم الاقتصادي وهو الرؤية المستقبلية البديلة للرؤية الإسلامية ، وذلك عن طريق نشر القيم اللبرالية والتأكيد على مزاياها ومزايا اقتصاديات السوق الحر[٥٩].

وفي الوقت الذي تمثل فيه الآراء المذكورة أعلاه وجهة النظر الفكرية فإن السياسة العملية للحكومات والإدارات الأمريكية المتعاقبة تختلف جوهرياً عنها حيث أنها تنهج نحو المواجهة واستعمال كل السبل والوسائل من أجل تحطيم الحركات الإسلامية . وهذه السياسة غالباً ما تكون سياسة مواجهة عن طريق ثالث كالكيان الصهيوني ، كل ذلك يتم تحت ذريعة احتواء التطرف والراديكالية أولاً، والخوف من التفاعل بين الإسلام والديمقراطية ثانياً[٦٠].

إن الخوف من الانتصار الديمقراطي للإسلام (مثل الجزائر ١٩٩٢) يشكل الأساس الذي تقوم عليه محاولات الولايات المتحدة للحفاظ على الأمر الواقع في المنطقة، على غرار الموقف الأمريكي من تنامي النفوذ السياسي للحركات اليسارية في الدول النامية إبان فترة الحرب الباردة[٦١]. وحقيقة هذا الخوف بحد ذاته هو اعتراف بأن الأصوليين الموسومين بالتطرف بإمكانهم انتهاج الديمقراطية الأمر الذي يترتب عليه بطلان الدعاوي الغربية، (ففي ظل حركة التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط والنجاحات الانتخابية للحركات الإسلامية تثار مسألة التوافق ما بين الإسلام والديمقراطية)[٦٢]. والصمت الذي لاذت به الولايات المتحدة والغرب حيال القمع الذي تعرضت له الجماعات الإسلامية يتعارض مع مقولة أن الإسلام لا يتفق والديمقراطية. لأن القمع جاء من حكومات مواكبة للولايات المتحدة وللغرب ولم يكن قمعاً من الإسلاميين للعلمانيين[٦٣]. ولهذا بدأ البعض يطرح فكرة أن التحدي أو التهديد الذي يواجه الولايات المتحدة والغرب ليس الإسلام وإنما الفاشستية، بدليل ما يحدث في البوسنة من جرائم . ولئن كانت أوروبا ديمقراطية فإن ذلك لا يعني وجود صمام أمان ضد الفاشستية، بل يمكن كما حدث في صربيا وما يحدث في فلسطين ، أن تؤدي الديمقراطية إلى وصول أنظمة فاشستية إلى الحكم[٦٤].

**الخاتمة :**

إن الحديث عن دور الصراع العربي – الصهيوني في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي لا بد وأن يثير سؤالين مهمين. الأول هو هل أن موقف الغرب التاريخي

المعادي للإسلام والحاقد على التوسع العربي – الإسلامي هو الذي كان الأساس في تشكيل العلاقة بين الغرب والعالم العربي – الإسلامي؟ وهو الذي دفع الإدارات الغربية إلى التفكير وفي وقت مبكر بإنشاء كيان لليهود فوق أرض فلسطين ، ومن ثم منح هذه الفكرة الشرعية ودفعها إلى عالم الوجود ومساندتها حتى أصبحت (دولة) في قلب الوطن العربي . أم أن الصهيونية (وهذا هو السؤال الثاني) ومؤسسيها من اليهود هم الذين نجحوا عبر عملهم المثابر وقياداتهم المقتدرة على التغلغل بين أوساط الساسة الأوروبيين (وبخاصة البريطانيين ) وإقناعهم والغرب بإنشاء (دولة) لهم فوق أرض فلسطين يمكن أن تخدم مصالحهم أولاً وتبقي الأمة العربية ممزقة إلى ما لا نهاية ثانياً ؟. والإجابة عن هذين السؤالين أو أية أسئلة مشابهة يمكن أن توضح لنا الأسس التي شكلت العلاقة بين الغرب والعالم العربي – الإسلامي .

إن التاريخ يخبرنا بأنه في الوقت الذي كان فيه قادة الغرب بعامة وبريطانيا بخاصة يعملون منذ وقت مبكر على تمزيق الدولة الإسلامية باعتبارها حامية الإسلام ومقدساته، كان قادة الحركة الصهيونية يعملون من أجل الحصول على بقعة من العالم لإنشاء كيان لهم. والتقت مصلحة الطرفين عند إقامة هذا الكيان فوق أرض فلسطين بعد أن كان الصهاينة يحلمون في أوغندا وهندوراس. وهكذا أصبح كل طرف يدعم الآخر ويحرضه على العرب والمسلمين من أجل تمرير كل المشاريع المفتتة للوطن العربي والعالم الإسلامي ، وتشويه صورتيهما عالمياً .

لقد كان التيار الإسلامي التيار الأول الذي هب لمقاومة الصهاينة المحتلين وفضح علاقاتهم وتواطئهم مع بريطانيا منذ عشرينيات هذا القرن. إلا أن هذه المقاومة الباسلة فشلت في ذلك الوقت بسبب ضعف الحركات الإسلامية وعدم تنظيمها وقلة مواردها وضعف تسليحها. ولما فشلت الجيوش العربية في استعادة فلسطين أو تحريرها وفي منع نكبة التقسيم، وتبعهم في ذلك التيار القومي، والذي أخذ هو نصيبه من التشويه والهجوم العاتي من الغرب والولايات المتحدة (كما حدث للرئيس الراحل جمال عبد الناصر)، وبعد أن تعرضت الأمة العربية لهزات عنيفة، بزغ التيار الإسلامي من جديد وبخاصة في فلسطين. لقد كان واضحاً أن هذا التيار ، الذي يملأ صدور مؤيديه ومريديه بالإيمان

والإصرار على محاربة الصهيونية وبكل الوسائل، هو الأكثر تصميماً على مواجهة العدو الصهيوني. وإذا كان الإيمان بالتوراة والأساطير القديمة قد مكن الصهيونية من تحقيق النجاح تلو النجاح فلماذا لا يكون الإسلام بواقعه وتاريخه العظيم بالقادر هو الآخر على النجاح في مواجهة أعدائه من الصهاينة؟ وفي الحقيقة فإن الفشل في كسر شوكة هذا التيار واندفاعه هو الأمر الذي جعل الصهاينة وحلفاءها في الإدارتين البريطانية والأمريكية يركزون جهودهم على مقاومته وتشويه صورته وإنهائه بشتى الوسائل . ولا عجب والحالة هذه أن تقبل (إسرائيل) بالتسوية بعد ثورة الحجارة والانتفاضة. ولا عجت أن ترضخ (إسرائيل) لبعض التنازلات بعد أن ثبت لها بأنها غير قادرة على مواجهة هذا التيار بمفردها، وبعد أن فشلت في ترويضه . كما أن تجربة الحروب الصليبية وانتصارات صلاح الدين الأيوبي لا بد وأن تبقى في ذاكرة الطرفين العربي – الإسلامي والصهيوني مفخرة للأول ومقلقة للثاني .

ومن ناحية أخرى فإن الغرب والولايات المتحدة لا يزالون متمسكين بالكيان الصهيوني ويرون أن الخطر عليه هو في العرب و المسلمين . ويقلقهم امتداد هذا الوطن (العربي – الإسلامي) وأن كل محاولاتهم لتطويق هذا العالم والالتفاف على أجنحته وإداراته تبقى عقيمة ولم تنجح في ترويض شعوبه.

وأخيراً فإن الإنصاف يدعونا إلى الإشارة إلى أن الغرب والولايات المتحدة ليس كله كتلة واحدة مناهضة للعرب والمسلمين . فكثير من الشواهد لا تزال تؤكد أن في الغرب تيارات مختلفة ، وأن بعضها بدأ يعي أهمية الإسلام والمسلمين للحضارة العالمية ويسعى للتقارب معهم والانفتاح عليهم، وبخاصة بعد أن أصبح التيار الإسلامي تياراً واضحاً ومؤثراً في دولهم. وعلى الرغم من أن الإدارات الأوروبية والأمريكية لا تزال تتصرف بطريقة تظهر تعاطفها مع الكيان الصهيوني (كتعيين رئيسة لجنة الصداقة مع الشعب اليهودي مستشارة لوزير خارجية بريطانيا ، واختيار شخصيات يهودية مناصرة (لإسرائيل) لتحتل مراكز وزارية في الولايات المتحدة مثل أولبرايت وكوهين) إلا أن هناك في المقابل شواهد تدلل على محاولات التقرب من الإسلام والمسلمين . ففي فرنسا مثلاً قاد رجل ديني فرنسي (لولون ، الذي ولد في تونس) مشروع حوار إسلامي –

كاثوليكي (مسيحي) استمر لمدة خمس سنوات وتمخض عنه في بداية هذا الشهر (نوفمبر ١٩٩٨) وثيقة صدرت في مدينة (لورد) الفرنسية المقدسة وعن مجلس الأساقفة الكاثوليك تؤكد على ضرورة التقارب مع المسلمين وفتح حوار معهم وتفهم قضاياهم والسماح لهم، بل ومساعدتهم في بناء جوامعهم وممارسة نشاطاتهم الدينية. ولعب وزير الداخلية الفرنسي (جان بير شوفينمان) دوراً مهماً وكبيراً في هذه السياسة الجديدة. كما أن المحادثات التي جرت في الفترة نفسها تقريباً بين لجنة تمثل المؤتمر الإسلامي وممثلين عن الأمم المتحدة في جنيف بمناسبة مرور خمسين عاماً على إعلان حقوق الإنسان العالمي، هي دليل آخر على التحول الطفيف في المواقف، هذا التحول الذي يجب استثماره. كما أن زيادة نسبة المسلمين في الدول الأوروبية والولايات المتحدة هو الآخر عامل إيجابي يجب السعي على تنظيمه والاستفادة منه .

**الهوامش** :

١) ماجد كيالي ، الصراع العربي في بيئة انتقالية ، مجلة شؤون الأوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، العدد ٥٣، السنة ١٩٩٦، ص١٥ .

٢) د. خلدون ناجي معروف، التفسير الصهيوني للصراع العربي – الصهيوني، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، بغداد، العدد (١)، السنة ١٩٨٨، ص١٤.

٣) المصدر السابق نفسه، ص١٥ .

٤) المصدر السابق نفسه، ص١٦ .

٥) مجلة قضايا دولية ، القضية الفلسطينية من منظور إنساني–إسلامي، إسلام آباد، الباكستان ، العدد ٢٦١/ ١٩٩٥/ ص٩٤ .

٦) المصدر السابق نفسه، ص٩٥ .

٧) المصدر السابق نفسه، ص٩٥ .

٨) د. خلدون ناجي معروف ، مصدر سابق ، ص١٨ .

٩) محمود حيدر، الأمن بين إسرائيل والفلسطينيين – محنة الخوف من السلام ، مجلة شؤون الأوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، العدد ٢٩ ، ١٩٩٤، ص٢٩ .

١٠) المصدر السابق نفسه، ص٣١ .

١١) د. عبد العليم محمد ، العرب والغرب ، نحو حوار إيجابي ، كراسات استراتيجية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الأهرام ، السنة الخامسة، ٣٦، ١٩٩٥، ص٦.

١٢) د. محمد عابد الجابري ، مسألة الهوية : العروبة والإسلام والغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة الثقافة القومية (٢٧) قضايا الفكر العربي/٣بيروت/١٩٩٥، ص١٣١ .

١٣) المصدر السابق نفسه، ص١٣٨ .

١٤) عقيل هاشم وسعيد العظم ، إسرائيل في أوروبا الغربية ، دراسات فلسطينية ، ٢٣/مركز الأبحاث/ منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٧، ص٦٨ .

١٥) المصدر السابق نفسه، ص٦٩ .

١٦) د. عبد القادر طافش ، صورة الإسلام في الإعلام الغربي ، مجلة قضايا دولية ، معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية ، إسلام أباد ، الباكستان ، العدد ٢١٦ ، السنة الخامسة ، ١٩٩٤، ص٢٦ .

١٧) د.عبد الوهاب الكيالي ، الجذور التاريخية للتحالف الصهيوني الإمبريالي ، في المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الصهيونية والعنصرية ، المجلد الثاني ، بيروت ط ، ١٩٧٧، ص٢١ .

١٨) انجلينا الحلو ، عوامل تكوين إسرائيل السياسية والعسكرية والاقتصادية ، دراسات فلسطينية، (١٦) ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٧، ص٢٢.

١٩) في حديث لأحد قادة المؤسسات الإسلامية في السويد أخبرني رداً على سؤالي فيما إذا كان هو وغيره من المسلمين يتعرضون للمضايقة من المؤسسات الرسمية أو الشعبية، بأنه على العكس من ذلك فإن الدولة السويدية تشجعهم وتنفذ كل مطالبهم المتعلقة بزيادة نشاطهم الاجتماعي والسبب ، وكما ذكره المسؤول السويدي أن الدولة السويدية قد لاحظت أن المنطقة التي يفتح فيها مركز إسلامي أو جمعية إسلامية تتناقص فيها معدلات الجريمة ومعدلات العنف الناتج عن السُكر وتعاطي المخدرات .

٢٠) مجلة قضايا دولية ، معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الباكستان ، العدد ٢٦١ ، السنة ١٩٩٥ ، ص ٤٧ .

٢١) عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، دار القلم ، ط٢ ، ١٩٦٥، ص ٣٧٢ .

٢٢) مجلة قضايا دولية ، العدد ٢٦١ .

٢٣) معهد البحوث والدراسات العربية – المجتمع الدولي والقضية الفلسطينية ، دار الهلال ١٩٩٣، ص٢٠٧ .

٢٤) المصدر السابق نفسه، ص٢٢٥ .

٢٥) المصدر السابق نفسه، ص٢٠٤ .

٢٦) أيد كلنتون حوالي ٨٠% من جملة الناخبين اليهود ، و٦٠% من الأموال غير المؤسسية التي أنفقت على الحملة الانتخابية كانت من تبرعات يهود أميركان . أنظر في هذا المجال : د.شبلي تلحمي ، السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والصراع العربي – الصهيوني ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص١١١ .

٢٧) معهد البحوث والدراسات العربية ، مصدر سابق، ص٢٠٦ .

٢٨) ريتشار نيكسون ، الفرصة السانحة ، الترجمة العربية ص١٨٧ .

٢٩) د. خليل ابراهيم ، الأهداف والأساليب الاقتصادية للصهيونية وإمكانات مواجهتها ، في كتاب الصهيونية–الواقع والمواجهة ، ندوة فكرية ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٩٨، ص٣٨ .

٣٠) زياد أبو غنيمة ، موقف التيار الإسلامي ودوره في مراحل الصراع ضد الصهيونية ، مجلة قضايا دولية ، معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية، إسلام آباد/العدد٢٦١، ١٩٩٥، ص٧٨.

٣١) محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد (١٩١٧ – ١٩٤٨) مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٨، ص٧٣ .

٣٢) المصدر السابق نفسه، ص١٠٦ .

٣٣) المصدر السابق نفسه، ص٢٠٤ .

٣٤) المصدر السابق نفسه، ص٤٨٣ .

٣٥) زياد أبو غنيمة ، مصدر سابق ، ص٧٨ .

٣٦) محسن محمد صالح ، مصدر سابق ، ص٤٨٣ –٩٨٤ .

٣٧) ربعي المدهون، الحركة الإسلامية في فلسطين (١٩٢٨–١٩٨٧) مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية،العدد ١٨٧،١٩٨٨، ص١٦.

٣٨) زياد أبو غنيمة، مصدر سابق، ص٨٢. وربعي المدهون، مصدر سابق ، ص١٧.

٣٩) محسن محمد صالح ، مصدر سابق، ص٤٦٤ .

٤٠) رضوان السيد، الإسلام السياسي والأنظمة العربية ، مجلة شؤون الأوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، لبنان ، العدد٤١ ، ١٩٩٥ ، ص٨٥ .

٤١) كالا كو نينجمام ، ود. حسن عبدالله جوهر ، الأصولية الإسلامية ونظرية الدومينو، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد ١٢٥ ، ١٩٩٦، ص١٠ .

٤٢) رضوان السيد ، مصدر سابق ، ص٩٠، وكذلك د.محمد عابد الجابري ، الجماعات الإسلامية المعاصرة في المملكة المغربية ، مجلة اليقظة العربية ، مطابع روز اليوسف ، القاهرة ، العدد ٢٧ ١٩٨٥ ، ص٣٥ .

٤٣) فيبي مارو وليم ، امتطاء النمر ، ترجمة عبدالله جمعة الحاج ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، ١٩٩٦ ، ص٢٣٤ .

٤٤) مثل ما حدث في الجزائر في عام ١٩٩٤ ، فعندما ظهر أن الحركات الإسلامية قد فازت بالانتخابات ثار الغرب وهدد بأن تحول الجزائر إلى حكومة إسلامية فيه تهديد كبير للغرب وأخذوا يذرفون دموع التماسيح على الديمقراطية بعد أن تم إفشال التجربة الديمقراطية وبعد أن نجحوا في تأليب الجيش الجزائري على الحركات الإسلامية وعلى الانتخابات .

٤٥) المنتدى، (منتدى الفكر العربي–عمان) متابعات فكرية، العدد ١٤٠/أيار ١٩٩٧، ص٨.

٤٦) المصدر السابق نفسه، ص٩ .

٤٧) د.محمد عابد الجابري، مسألة اليهود–العروبة والإسلام والغرب، مصدر سابق، ص٨.

٤٨) إحدى الصور المشوهة للإسلام ما نشر في مجلة التايم الأمريكية وعلى غلاف عددها المؤرخ ١٩٩٢/٦/١٥ ، حيث ظهرت صورة مأذنة مسجد بجانبها بندقية رشاشة في مثل حجمها ، وفي أسفل الغلاف تحت البندقية مباشرة العبارة التالية (إسلام... هل ينبغي للعالم أن يخاف ؟).

٤٩) رضوان السيد ، مصدر سابق ، ص٨٩ .

٥٠) خالد الحروب، الإسلاميون في فلسطين، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ص١٣٩.

٥١) شمعون بيريز ، الشرق الأوسط الجديد ، ترجمة محمد علي عبد الحافظ ، الشركة الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ١٩٩٤ ص٣٦-٣٧ .

٥٢) كارلا كو نينجهام ، مصدر سابق ، ص ١٦ .

٥٣) خالد الحروب ، مصدر سابق ، ص١٣٩ .

٥٤) فيبي مارو وليم ، مصدر سابق ، ص٢٤٩ .

٥٥) خالد الحروب ، مصدر سابق ، ص١٤٧ .

٥٦) طلال عتريس ، الأصولية والتسوية ، مجلة شؤون الأوسط ، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ، العدد ٢٩، ١٩٩٤ ، ص٢٤ .

٥٧) نيكسون ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ .

٥٨) فيبي مارو وليم ، مصدر سابق ، ص٢٥٠ .

٥٩) نفس المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

٦٠) مجلة قضايا دولية/تحديات المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، معهد الدراسات السياسية والاستراتيجية، إسلام أباد، العدد ١٩٩٤/٢٢١/٢٠٠ ، ص٣٥.

٦١) كارلا كو نينجهام ، مصدر سابق ، ص١٢ .

٦٢) المصدر السابق نفسه، ص١٣ .

٦٣) فيبي مارو وليم ، مصدر سابق ، ص٢٤٦ .

٦٤) د. شبلي تلحمي ، مصدر سابق ، ص١٠ .